ومن يدعي أنهم « جبناء » لا يعرف شيئا » .

ويبحث المؤلف عن جذور المقاومة التاريخية لدى الشعب الفلسطيني ، فيقول ان احداث ١٩٢٩ و١٩٣٦ لم تكن الا مقاومة فلسطينية مسلحة ضد الغزاة اليهود الاجانب « والذي ينظر الى هذه الاحداث وكأنها صدام بين يهود مسالمين يحاولون الدفاع عن انفسهم ، وبين عصابات من قطاع الطرق العرب ، فانه يمارس الكذب على اليهود وعلى العرب . لقد قاتل العرب اليهود لا من اجل القتل وسفك الدماء ، ولكنهم قاتلوا كما يقاتل المناضلون ضد من جاءوا يحتلون ما يعتقدون انها بلادهم » . هذا عن تاريخ أحداث ١٩٢٩ التي يصورها المؤرخون الصهيونيون بأنها « اعتداءات اللصوص العرب على اليهود الابرياء » . وعن أحداث ١٩٣٦ يقول المؤلف : « ان المناضلين العرب كانوا منظمين في عصابات ، ولكن اذا استخدمنا مصطلحا آخر نقول انهم كانوا يخوضون تمردا شعبيا بكل معانيه: الاضراب الشامل ، والاستعداد للتضحية ، وحرب عصابات » .

ويخلص المؤلف الى القول إن تاريخ هذا الصراع هو « صراع بين حركتين قوميتين ولدتا تقريبا في الوقت ذاته : اليهودية والعربية الفلسطينية . ولقد تجاهل مؤسسو الحركة الصهيونية هذه القضية ، ورأى هرتسل ان « اليهود العائدين الى بلادهم يحملون رسالة الرجل الابيض » . أما الذين جاءوا بعده : بيرل كتسنلسون وداڤيد بن غوريون ورفاقهما ، فقد كانت نظرتهم الى قضية العرب الفلسطينيين غامضة . كان من بينهم من أراد أن يتجاهلها، وأن يلقي مسؤولية حلها على المستقبل». ان المساواة بين حقوق « القومية اليهودية » و« القومية الفلسطينية » على ارض فلسطين ، هي نقطة الانطلاق التاريخية والسياسية لدى أريه اليف . وهنا ، تطرح مسألة نظرية في غاية الخطورة ، أمام مفكري الصهيونية ، لانها تمس الجهاز العصبي لكيان اسرائيل ، وتستتبعها اعادة نظر شاملة في كل التطبيق الصهيوني اللاحق والتطورات السياسية اللاحقة ، في حالة الموافقة الصهيونية النظرية على هذا الاعتراف . وهنا ، نعثر على الخيط الدقيق الضائع الذي يفصل بين ما اصطلح على تسميتهم « الحمائم » وبين ما اصطلح على تسميتهم « الصقور » في الفكر الصهيوني ــ الاسرائيلي الممارسة ، او بين « الصهيونية القنوعة » التي تكتفي باقامة دولة يهودية ، وبين « الصهيونية الجشعة » الطامعة في مزيد من التوسع .

هل يعترف الفكر الصهيوني بالصيغة التي طرحها أريه اليف ، القائمة على مبدأ الاعتراف بنشوء قوميتين على ارض فلسطين ــ قومية يهودية وقومية عربية فلسطينية ؟

هذا اولا .

وهل يعترف الفكر الصهيوني ، ثانيا ، باعلانه الاعتراف بحق القومية العربية الفلسطينية بالمساواة مع القومية اليهودية ؟

يعترض يوسف نبو (وهو عقيد في الجيش الاسرائيلي ومحلل للشؤون العسكرية ورئيس بلدية هرتسليا) على مقولة أريه اليف في مقال نشره في « دافار » (٨/١٨) ويقول : ان اخطر ما في كتاب اليف هو حديثه عن المساواة في حقوق الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني على ارض اسرائيل كلها ، لانها تمس جذور كياننا القومي . ففي بحثه عن العدل للفلسطينيين يرتكب اللاعدل بحق شعب اسرائيل » . لماذا ؟ « ان جوهر الصهيونية ــ هو الحق غير المشروط للشعب اليهودي في العودة واقامة السيادة على بلاده . والاعتراف بالمساواة في الحقوق معناه ــ اشتراط حق اليهود بموافقة العرب . ان المساواة في الحقوق القومية معناها ــ الاعتراف بحق النقض للفلسطينيين على تطلعات اليهود ، فها هم يقيمون في بلادهم وهم يحتفظون بحقهم، بينما نحن نجيء من الخارج وندعي الحق». ويضيف الكاتب محللا جوهر عنصرية الصهيونية : « ان الصهيونية ، في الممارسة ، تعتمد على أولوية حق شعب اسرائيل في بلاده على اي حق اخر . وعندما تصطدم الممارسة الصهيونية مع حقوق اخرين ولا تكون هنالك امكانية للتسوية بينهما ، فان حق الصهيونية له الأولوية . وكل اعتراض على ذلك هو بمثابة اعتراض على حقنا في الكيان القومي ذي السيادة وغير المشروط » .

عندما يصطدم اي حق مع ما تدعيه الصهيونية من حق ، فان لادعاء الحق الصهيوني الافضلية الاولى غير القابلة للمناقشة . من هنا ، فان « الحق » اليهودي على فلسطين وعلى سواها هو حق مطلق، وأي اعتراض عليه يعتبر اعتراضا على جوهر كيان اسرائيل ــ هكذا يمكن تلخيص النظرة الكونية للفكر